المنشىء والحاسب ، أبو حيان والحريري

قرأت في الرسالة الغراء (٧٣٧) كلمة الأستاذ (الجاحظ) : (الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب) وما رواه فيها من قول للدكتور زكي مبارك . ولقد أنصف الأستاذ الجاحظ ، وجار الدكتور مبارك — وإن لم يكن الظلم من شيمته — بما أراد أن يعطي (ابن الحريري) أكثر من نصيبه ، وحسبه نصيبه . وفي (الإمتاع والمؤانسة) حديث عن تينك الصناعتين ورد فيه كلام لرجل اسمه (ابن عبيد) نبح فيه البلاغة والمنشئين والمعلمين والنحويين ، وعظم وكبر صنعة الحساب . وقد فرفر أديبنا العبقري أبو حيان قائله فرفرة ، وفند باطله ، وأعلن من فضائل البلاغة والإنشاء ما أعلن وأغلب الظن أن صاحب (المقامات) أطلع على ذلك الحديث فنقش أشياء من معانيه ومن ألفاظه قال ابن الخشاب البغدادي في رسالته في نقد (المقامات) :

« وقد كان ابن الحريري (عفا الله عنه) مكباً عليها ، صارفاً مدة مهله فيها ، ينقح فيها اللفظة بعد اللفظة ، ويستشفها في كل لحظة ، فهي بنت عمره ، وبكر دهره . ولقد خطف أكثرها من مواضع ، بدل تهديه إليها على فضل بارع . ولم يكن (رحمه الله) مدفوعاً عن فطنة ثاقبة ، وغريزة في التلفيق مطاوعة مجاوبة » .

ولن يقلل ذلك النقش من فضل (أبي محمد) ولن يصغر هذا الخطف من مقداره . يقول أبو حيان في كتابه :

« ولما عدت إليه (إلى الوزير) في مجلس آخر ، قال : سمعت صياحك اليوم في الدار مع ابن عبيد ، ففيم كنتما ؟ قلت كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه(١) أحوج ، وهو بها أعنى(٢) من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا(٣) الكتابة الأولى جد ، والأخرى هزل » .

« قال : ... فما كان الجواب ؟ قلت : ما قام من مجلسه إلا بعد الذل والقماءة ، وهكذا يكون حال من عاب القمر بالكلف ، والشمس بالكسوف ، وانتحل الباطل ونصر المبطل ، وأبطل الحق وزرى على المحق ... » .

ومما قاله أبو حيان لابن عبيد : « وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلا بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوتها ، فانظر كيف وجدت في استقلالها بنفسها ما يقلها ويقل غيرها ، وهذا أمر بديع وشأن عجيب ... » .

والحديث التوحيدي العذب هو في الجزء الأول من (الامتاع والمؤانسة) في الصفحة السادسة والتسعين وما بعدها .

السرهمي

(١) قلت : ربما كانت (إليها) .

(٢) قلت : اليقين انها (أعنى) بالعين المهملة لا بالغين المعجمة وان كانت من الشاذ ، وفي كتاب سيبويه : (وهم ببيانه أعنى) ولقد ذكره الزمخشري في (المفصل) وفي (الأساس) .

(٣) يعني أنها (فإن) .

تصويب :

جاءت همزة هذا المصدر (الاتمام) في الكلمة (فعلاء) في (الرسالة الغراء) ٧٣٧ - همزة قطع ، وهي همزة وصل .

الى الأستاذ (الجاحظ) :

أنا أذكر أن في الكتاب الجليل (الفرج بعد الشدة) للقاضي التنوخي قصة وقعت لبعض وزراء العهد العباسي الأول مع كاتب متعطل ركب معه حراقته في دجلة ... فيها تصنيف الكتاب وصفاتهم وما ينبغي لكل منهم ، ولم يقتصر فيها على الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب ، بل عدد أنواعاً كثيرة وساق أوصافاً جمة ، وليس تحت يدي الكتاب حتى أدل على موضعها ، فليرجع الأستاذ (الجاحظ) إن شاء إليه . يجد فيها ما يضيفه إلى (تعقيباته) ، ويضمه إلى حسناته ..

(علي)

الخلان والزمان :

في العدد (٧٣٦) من الرسالة الغراء مقال بعنوان (الخلان والزمان) للأستاذ الحوفي لفت نظري فيه أخطاء وقع فيها الكاتب في روايته لأبيات الشاعر الأمير أبي فراس ... فرأيت إتماماً للفائدة المرجوة من هذا الموضوع الجليل أن أنبه إلى مواضع تلك الأخطاء وأن أرجع الرواية إلى أصلها .

١ — روى الكاتب أن أبا فراس قال :

منعت حمى قومي وسدت عشيرتي ... وتلدت أهلي من هدى القلائد

وصحة رواية الشطر الثاني هي :

وتلدت أهلي فر هدى القلائد